عودة الروح

رحلة الإنسان الى الإيمان العميق

حديث للعقل
حديث للقلب

السيد عباس نورالدين




مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الـكتـاب: عودة الروح

الـكاتب: السيد عباس نورالدين

الناشـر: الدار الإسـلامية

الطبعة: الأولى ـ بيروت ـ 2002 م

مركز بـاء للدراسات

لبنان ـ بيروت

ت: 03/380119

فاكس: 01/553863 ص.ب : 14/5680

e-mail: b_a_a_books@hotmail.com

ISBN: 9953-22-007

عودة الروح

رحلة الانسان إلى الايمان العميق

حديث للعقل

حديث للقلب

السيد عباس نور الدين

المحتويات

| يـرفـع الـلـه الـذيـن آمـنـوا مـنـكم والـذيـن أوتـوا

العلم درجات |. المجادلة: 11

مقدمة

كثيراً ما يدور على ألسن الناس الحديث عن الإيمان والمؤمنين، فيقال هذا مؤمن وذاك ليس بمؤمن أو أن المؤمن يفعل كذا ولا يفعل كذا. ونحن نعتقد بأن الله تعالى قد أعدّ الجنة للمؤمنين خاصة، وأوعد الكافرين النار والعذاب الأليم. فالإيمان يمثّل قضية مركزية في حياتنا، ونحن نقيّم الأشياء من حولنا على أساسه ونعتبره من الأمور المصيرية.

ونظراً إلى أهميته وموقعيته الحساسة، يحاول كل واحد منا أن يكوّن في ذهنه تصوراً واضحاً عنه. والعديد من الناس يهتم بالوصول إلى الإيمان والعيش وفقه.

قد يُتصور بأن الإيمان يعني الخشوع في الصلاة والدعاء. أو أنه من الأمور المعنوية التي يشعر بها الإنسان في قلبه. البعض

يرى الإيمان الحقيقي في العمل الصالح ولا يقيم وزناً للإحساس والشعور القلبي!

على صفحات هذا الكتاب سنطرح هذا الموضوع المهم لنتعرف على حقيقته وفق الرؤية الإسلامية الأصيلة ومدى ارتباطه بحياة الإنسان ومصيره. بالإضافة إلى تناول علاماته وآثاره التي بها يعرف ويميز عن الكفر.

ومما لا شك فيه أن الإيمان حالة نفسية تختلف عن إحساسنا بالشبع أو الراحة وأمثالها. فهو شيء أعمق. ويدرك أولئك الذين يعيشون الإيمان الحقيقي في حياتهم مدى تأثير الإيمان في جعل أوقاتهم وتصرفاتهم ذات معنى، وتحويل حياتهم إلى حياة هادفة. ونجدهم يتخطون الصعاب والآلام الكبرى بقوة وأمل. ويتمكن بعضهم بقوة الإيمان أن يبدّل الآلام إلى أفراح والمشقات إلى مسرّات ومباهج.

وعندما ننظر إلى حياة أولئك الذين يفتقدون مثل هذا الإحساس والتوجه، نراهم قلقين متعبين خائفين من المستقبل، يتقلبون بين الترقب الحذر والخوف والحزن. وإذا تأملوا في

المصير وآخر العمر تجرعوا غصصاً لا يرون منها مهرباً.

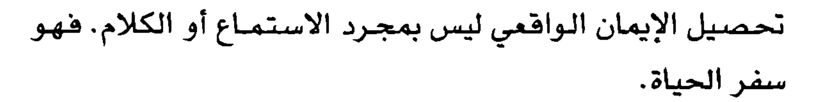
فالذي لم يعش قلبه حالة الإيمان يصفه الذكر الحكيم بصاحب الفؤاد الفارغ كالهواء. ولأنه كذلك، فإن الحوادث المختلفة تعبث به كريشة في مهب الريح يكاد يختنق من ضيق صدره كأنما يصعّد في السماء. فهو مثال التيه والضياع.

حاولت في هذا الكتاب أن أستعرض بأسلوب جديد بعيد عن الاستدلال الجاف تلك القضايا المتعلقة بالإيمان، والتي يمكن أن توجد في حياتنا تحولاً إيجابياً. لندخل في تجربة الإيمان الرائعة، ونكتشف العالم من حولنا من منظاره.

ولا شك بأن الخطوة الأولى نحو هذه التجربة المعنوية الشيقة هي خطوة المعرفة وبناء التصور الصحيح. لأن ما علق بهذه المفاهيم الإسلامية من شوائب وشبهات يجعل الدخول أمراً صعباً. وإذا تحققت هذه الخطوة، ينبغي أن نُسمع القلب كلاماً خاصاً به ليتردد في أرجائه لحن الغيب والسماء.

فالخطوة الأولى هي حديث العقل، والثانية حديث القلب.

أما باقي الرحلة والسفر فإنه يقع على عاتق القارىء، لأن


تحصيل الإيمان الواقعي ليس بمجرد الاستماع أو الكلام. فهو سفر الحياة.

حديث للعقل

الإيمان الإسلامي

في البداية نحتاج إلى فهم المعنى الحقيقي للإيمان. وإذا تمكّنا من تصوره بشكل صحيح، ستكون الفصول اللاحقة سهلة وممتعة في آن.

الإيمان نوع من المعرفة والاعتقاد المصبوغ بتوجهات معنوية وشعورية، وهو ليس بحاجة إلى وصف، لأننا ندركه بوجداننا. والإيمان من شؤون البشر وميولهم التي خُلقت معهم. أن نقول «إنسان» فهذا يعني أن هذا كائن يمتلك ميلاً طبيعياً نحو الإيمان، مثلما يمتلك بفطرته القدرة على التفكر والتعقل أو إدراك العالم بحواسه والتواصل معه. ولا نحتاج إلى أن نتعلم معنى الإيمان. ولو حاول شخص أن يصفه لنا، فلن يكون أقدر من ميولنا وتوجهاتنا المغروزة فينا على وصفه. فلا يخلو إنسان من هذا

الميل أو الشعور الذي نسميه «الإيمان».

والإيمان نوع من الإذعان أو التسليم لحقيقة أو لشيء نعتقد أنه حقيقة. والنفس التي تؤمن بأمر ما ـ مهما كان ـ تعيش حالة من الخضوع أو الخشوع له.

بحثنا إذاً، لا يدور حول وصف الإيمان. وإنما نريد أن نتعرض للإيمان المطروح في الإسلام. الإيمان الذي يقابل الكفر، والذي يكون حساب البشر يوم القيامة، بل في الحياة الدنيا أحياناً، على أساسه.

الإيمان الإسلامي هو غير الإيمان المسيحي والإيمان البوذي أو الإيمان الذي يُذكر في الأناشيد الوطنية. وهنا جوهر البحث.

إن أي إيمان يقع في قلب الإنسان يتعلق بأمر ما ـ سواء كان موجوداً في الحقيقة أم كان مجرد وهم وخيال. وعليه، إذا قال شخص أنني مؤمن، فلا يكفي هذا الادعاء للحكم الصحيح عليه. بل ينبغي أن نعرف الشيء الذي آمن به. فقد يكون مؤمناً بإله عاش ومات ورحل إلى السماء، أو بموجود يعتقد أنه يحل في الأشياء، أو مؤمناً بوطنه، وغير ذلك. أما الإيمان الإسلامي، أي

الإيمان الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، فهو الإيمان بالله الواحد الأحد الذي خلق كل شيء وهو رب العالمين.

الإيمان الإسلامي، الذي سيكون موضوع بحثنا في هذا الكتاب، يختلف عن أي إيمان آخر، وبمعرفته يمكن أن نقول بأن كل إيمان آخر هو الكفر الحقيقي الذي سيظهر في يوم من الأيام. فالأمر الذي يتعلق الإيمان الإسلامي به شيء فريد جداً لا يسمح أن يكون معه شريك. فهو من الفرادة إلى درجة أنه يلغي كل الأشياء من القلب. وإذا حصل الإيمان الواقعي به يكفر القلب بكل ما سواه!

وللإيمان الإسلامي فروع تنشأ منه. فإذا وجد مثل هذا الإيمان، ستظهر بسببه أمور عديدة هي بمنزلة اللوازم الذاتية، ولا يمكن أن تنفك عنه أبداً. ولهذا الإيمان آثار خاصة يتميز بها عن النفاق والمشاعر العابرة أو الكاذبة. وأفضل من تحدث عن الإيمان الإسلامي هو الله تعالى. حيث ذكر لنا كل ما نحتاج إلى معرفته في هذا المجال. ولأنه أعرف من خلقه بما في قلوبهم، ولأن الإيمان أمر يتعلق به، فهو سبحانه الذي يحق له أن يصنّف

الناس إلى مؤمن وكافر. ونحن نتبعه في ذلك. وقد حفل القرآن الكريم الذي هو كلام الله ووحيه بالإشارات والعلامات التي ميّزت الإيمان الواقعي عن غيره وأخرجته من غربته ومجهوليته، حيث تم فضح أولئك الذين قطعوا طريق الإيمان على الناس من خلال إدعاءاتهم المزيفة.

وقد امتلأ التاريخ - ولا يزال - بذكر أقوامٍ كانوا يوهمون الناس بأنهم مؤمنون ليسقطوا الإيمان من مقامه الشامخ ويجعلوه لعبة أو لفظاً تلوكه ألسن العابثين. ومن أعجب ما سمعت في عصرنا الحالي أن إحدى ممثلات الإغراء والأفلام الإباحية قالت في مقابلة صحافية أنها مؤمنة وتعتبر عملها هذا تنفيذاً لأمر الرب!!

فأنت إذا حاولت أن تسأل الناس عن معنى الإيمان قد تصاب بالذهول لكثرة الاختلاف في أجوبتهم. فما كان فطرياً، صار أمراً غريباً. وإذا خرجت من المجتمع المسلم الذي تعيش فيه قد تسمع الأعاجيب أيضاً. كل ذلك لأن المفهوم الصحيح عن الإيمان ليس منتشراً وسائداً.

إن كل إيمان ينطلق من معرفة يضاف إليها تسليم أو اطمئنان.

والعلم لوحده لا يكفي. فقد يمتلك الإنسان معرفة بشيء ما، ولكنه لا يكون مؤمناً به. وقد تكون هذه المعرفة بالشيء غير صحيحة. كأن يؤمن بأن لله ولداً مثلما يكون للبشر! فهذا الذي اعتقد بهذا الأمر، وإن كان مؤمناً به ويشعر بحالات وجدانية تجاهه، لكنه ليس مؤمناً في الحقيقة. لأن الإيمان الواقعي يتطلب معرفة بشيء واقعي، أو بعبارة القرآن يحتاج إلى سلطان. إن الأحاسيس والمشاعر - وإن كانت قوية أحياناً - قد تنشأ من وهم كما يخاف البعض من الغول الذي لا وجود له.

وهذه المعرفة أو التصور الذي يحمله الإنسان حول الشيء الذي آمن به قد يكون ناقصاً أو مشوباً. فهو صحيح من جهة ولكنه امتزج بتصورات غير صحيحة. وينشأ من جراء ذلك إيمان ناقص وضعيف. ومثل هذا الإيمان لا يمتلك أرضية التكامل. والكثير من الناس الذين آمنوا بالله لا يعرفونه معرفة صحيحة وتامة، ولهذا يشركون معه أهواءهم وغيرها. يقول الله تعالى:

| وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون |.

يوسف: 106

فالمعرفة وإن لم تكن كل الإيمان، إلاّ أنها أساس الإيمان. هذه المعرفة الصحيحة التي تقوم على أسس سليمة، نحتاج إلى الاطلاع عليها ومعرفة كيفية تحصيلها لنبني إيماننا على أرض ثابتة، فالمؤمن كالجبل الراسخ لا تزلزله العواصف.

وإذا تمكنا من تحصيل هذه المعرفة، يبقى هذا السؤال، وهو: كيف نوصل هذه المعرفة إلى مستوى الشعور القلبي والتوجه المعنوي الممتزج بالإذعان؟ كما أننا نحتاج إلى معرفة الدرجة المطلوبة في هذا الإيمان من جانب الله تعالى. وهي الدرجة التي يحصل معها الفلاح والفوز والنجاة من النار

|فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز|.

آل عمران: 185

معرفة الله

ذكرنا أن الإيمان الإسلامي هو الإيمان الذي يتعلق بالله خالق العالم وربه. وأشرنا إلى أن هذا الإيمان ينفي أي إيمان آخر يغايره، ويعتبره غير نافع في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

في الرؤية الإسلامية للوجود: خلق الله العالم تفضلاً وكرماً، وهو غني عن عباده، لا يصله من جراء إيمانهم أو كفرهم نفع أو ضرر:

| .. **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيٌ حميد** |. إبراهيم: 8

وقد خلق الله تعالى الإنسان لكي يصل إلى هدف واقعي، تتحقق عنده سعادته المطلقة وكماله النهائي. لم يطالبه بالإيمان أو ينهه عن الكفر إلا لدخالة هذا أو ذاك في تحقق الهدف.

وتمثل الجنة هذه السعادة المطلقة التي هي هدف الإنسان. وما لم يدخل هذا الإنسان إلى الجنة فهو من أصحاب النار والشقاء الأبدي. وبمراجعة الآيات الشريفة التي تحدثت عن شروط الفوز بالجنة والنجاة من العذاب، نجد أن الإيمان بالله عز وجل هو العامل الأساسي، بل الوحيد لأن كل العوامل الأخرى لا تقف إلى جانبه بل تنبع منه:

﴿ يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾. الأنعام: 158

وكذلك إذا راجعنا جميع الآيات التي تحدثت عن سبب الدخول إلى جهنم والعذاب الإلهي الذي يناقض الهدف المطلوب، نجد أن السبب الوحيد هو الكفر بالله سبحانه. وباقي العوامل تنبع منه ولا تقف إلى جانبه:

﴿ قل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾. آل عمران: 12

وسر ذلك أن الإيمان أو الكفر (الذي يكون بحد ذاته إيماناً بشيء غير الله تعالى) هو الموجِّه لمسيرة الإنسان. فما يؤمن به

هو الذي سيكون الهدف النهائي له. وأولئك الذين آمنوا بالله حقاً، توجهوا إليه وطلبوه وسلكوا الطريق إليه. وتكون عاقبتهم الوصول إليه وإلى جنته التي هي مقام لقائه. أما الذين كفروا به فهم كما وصفهم القرآن الكريم:

| مثل الذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه |. النور: 39

ولأننا نعيش في عالم يصنف الناس على أساس العِرق أو الطائفة، لا نتوجه إلى المعنى الواقعي للإيمان والكفر. ويؤدي ذلك إلى ضياع البحث عن الحقيقة. وبالرغم من أن القرآن قد طرح هذا الموضوع بوضوح وسمى الأشياء بأسمائها، إلا أننا اليوم نجد حرجاً في طرحه وعرضه بهذا الشكل، حذراً من الفتن الطائفية والحروب الدينية. ولكن البشر إذا استطاعوا يوماً أن يناقشوا قضاياهم واختلافاتهم انطلاقاً من هذه النقطة المركزية، فإنهم سيصلون إلى حلول مدهشة لكل مشاكل البشرية.

لقد كان هذا الأمر داخلاً في صلب عمل الأنبياء عليهم السلام، وقد

طرحوه كأول وأهم نقطة ينبغي الحديث عنها والنقاش فيها. وكان سرٌ قوتهم يكمن في هذه النقطة بالذات. فلم يثيروا قضايا استيلاب الأوطان وسوء توزيع الثروات والظلم المتفشي بين العباد وتجبّر وطغيان الحكام الجائرين إلا بتبع قضية الإيمان والكفر. ولأنهم كانوا بمثل هذا الوضوح منذ البداية، فقد حققوا الإنجازات المذهلة وجعلوا مسيرة البشرية بالاتجاه المطلوب.

القرآن الكريم يحدثنا عن هذه القضية، ويبين لنا أن سعادة الأفراد والمجتمعات تكمن في إيمانها، وأن شقاءهم حاصل كفرهم. فالخير يبدأ من الإيمان وينمو معه، والشر مستبطن في الكفر، ويستشري به.

أولئك الذين آمنوا بغير الله الواحد الذي بيده كل خير سيتحركون نحو كمالات وهمية وأشياء يظنون الخير فيها والسعادة المنشودة منها. ولكنهم في النهاية، سيدركون أن ما آمنوا به لم يكن الإله الحقيقي الذي يفيض الكمال اللامتناهي.

ولا شك بأن مجرد الإيمان لا يكفي للوصول إلى السعادة. وبعبارة أدق، الإيمان الذي لم يصل بعد إلى درجة يحرك نحو

مفيض الخير والكمال لن يكون مؤثراً. بل الإيمان الذي يولِّد السعي. وأن أعظم أثر للإيمان الواقعي هو أنه يجعل قلبَ صاحبه متوجهاً ومقبلاً على الفيض الإلهي المتوجه إلى جميع المخلوقات. بينما يكون الكفر إعراضاً وإغلاقاً لهذا القلب ولهذا الوجود الإنساني أمام كل خير وسعادة ينشرها الرحمن في عباده ومخلوقاته.

ولعلك بهذا البيان عرفت حقيقة ما ينبغي أن يتعلق به الإيمان ليكون إيماناً إسلامياً. إنه الإله الذي بيده كل خير وكمال وسعادة يصبو إليها الإنسان. وهذا معنى التوحيد ومعنى أن يكون المرء موحِّداً. فالتوحيد ليس مجرد اعتقاد بأن الله خالق كل شيء، ولم يشركه أحد في خلقه، بل يعني أيضاً الاعتقاد بأن كل خير نريده هو عند الله، ونطلبه منه.

نفس هذا الاعتقاد يعدّ درجة من الإيمان. وإذا استولى على قلب الإنسان فأخرج كلَّ ما ينافي هذا الاعتقاد الحقيقي يصل صاحبه إلى أعلى درجات الإيمان. لأن الإيمان الكامل هو الذي يكون القلب معه لله وحده دون سواه. القلب الذي هو منبع الميول

ومركز العواطف ومنشأ التوجهات والمساعي. فتكون جميع تحركات هذا المؤمن إلهية؛ لله وبالله ومع الله سبحانه. وعندها يصبح هذا الموجود في أعلى درجات الاستعداد لاستقبال الفيض الإلهي اللامحدود. ولأن الله عز وجل يفيض على الدوام ودون انقطاع ولا شائبة نقص في عطائه، ولأنه قريب من المحسنين الذين ورد بشأنهم في الحديث النبوي عندما سئل رسول الله ﷺ ما الإحسان؟ قال ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، فإن النتيجة ستكون: وصول هذا المؤمن إلى الفيض الإلهي المطلق وإلى السعادة اللامتناهية.

فالإيمان معرفةٌ وعلم، ولكنه علم خاص. والإيمان المؤثر والمثمر هو الذي تبلغ معه هذه المعرفة إلى حيث تستقر في القلب بعد عبور العقل وتكون المحرك الوحيد والموجه الأساسي لمساعي الإنسان وتحركاته.

نعم، وفق الرؤية الإسلامية، لا يمكن أن يدخل الإيمان إلى القلب ما لم يمرّ في العقل. العقل الذي يمثّل المنطق والبرهان ويرفض المغالطة والجدال والأساطير. ولهذا اعتبر الإسلام أن

الإيمان الذي يدّعيه البعض ممن لا علم لهم ولا اعتقاد، ليس إيماناً حقيقياً مثلما حدث مع الأعراب في صدر الإسلام، حيث نفى القرآن الكريم عنهم صفة الإيمان بقوله تعالى:

| **وقالت الأعرابُ آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمّا يدخلِ الإيمان في قلوبكم** |. الحجرات: 14

وسبب ذلك يُعرف من خلال مطالعة التاريخ، إن هذه الفئة من الأعراب أعلنت إيمانها بعد أن شاهدت السيطرة الكاملة للمسلمين على شبه الجزيرة العربية دون أن تتعرف على حقيقة الإيمان أو تعتقد به، فلم يكن إيمانها واقعياً، بل كان نوعاً من الاستسلام أو إعلان الإسلام في الظاهر.

ويمكننا أن نستنتج أن هناك إيماناً عقلياً وإيماناً قلبياً، ولكن لا يمكن أن يتحقق إيمان لا يؤيده العقل. هذا بالطبع فيما يتعلق بالإيمان الصحيح المعتبر عند الله والذي يكون منشأً للخير الواقعي. والإيمان القلبي هو حالةٌ أرقى من الإيمان العقلي دون أن يضادّه. فإذا حدث أن الإيمان بشيء ما خالف العقل ومنطقه السليم، فهو ليس بالإيمان الإسلامي. والبعض قد فسّر الإيمان

القلبي بأنه حالة راقية وعالية من الإيمان العقلي. ويقصد به أن إدراك الحقيقة عندما يشتد ويزداد وضوحاً وتزول معه أيّة حالة من الشك يكون إيماناً قلبياً. ويطلق بعض العلماء على الإيمان العقلي عنوان الإيمان الأصغر وعلى الإيمان القلبي الإيمان الأكبر.

ولا شك بأن المعرفة ودرجتها والسير فيها هو المغذّي الأساسي للإيمان القلبي. إلا أن مجرد التفكر والبحث العلمي لن يكفي لتحققه. وهذا يعود إلى أصل تكوين الإنسان وطبيعته النفسية.

إن المعرفة الصحيحة المؤيدة بنور العقل تحتاج حتى ترسخ في قلب الإنسان إلى تجربة وتطبيق. وبعبارة أخرى، لكي تدخل المعرفة إلى القلب وتنتقل من الحالة النظرية والترجيحية إلى حالة الإيمان المطلوب ينبغي أن يتحرك الإنسانُ وُفْقَها. كما لو اعتقد المرء بأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، وأن كل شيء يجري بمشيئة الله، فعليه أن يتصرف على هذا الأساس فينزل إلى المعركة غير عابىء بتهديد الكفار،

ويسلك دروب الحياة دون أن يسقط في سوء الظن بالله عندما يقدر عليه رزقه.

أكثر النصوص الإسلامية التي تحدثت عن الإيمان كانت تقصد الإيمان القلبي لأنه منشأ الخير، ولأن العقلي لوحده لن يكون ضامناً لسير الإنسان نحو الصلاح، ولهذا قد يزول عند الامتحان أو البلاء. وسنعود بإذن الله إلى الحديث عن الفارق بين الإيمانين.

الإيمان، إذاً، حالةٌ خاصة بالإنسان وهو من الميول الأساسية فيه. ولكي نفهمه جيداً نحتاج إلى فهم هذا الإنسان، وأفضل من عرّف هذا الكائن العجيب والمدهش هو الدين الإسلامي الذي هو وحي الإله الذي خلق الإنسان وصنعه. والآية الشريفة:

| افلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير |

الملك: 14

تشير إلى هذا المطلب.

الإنسان والإيمان

على ضوء فهمنا للدين الحنيف ندرك أن الإنسان ليس مجرد حيوان يأكل وينام ويتناسل. فهو وإن كان يشترك مع الكائنات الحية في مجموعة من الوظائف، إلا أنه حقيقة أخرى تختفي وراء هذا الجسد. فهو كائن عقلي يمتلك القدرة للتفكر والبحث فيما وراء هذه الحياة المادية المحدودة التي نسميها الحياة الدنيا. وهو يبحث ـ فيما لو عاش إنسانيته وليس مجرد حيوانيته ـ عن مصيره وهدفه. ويصل إلى نتائج طيبة فيما لو أكمل طريقه. وعندها ستنشأ فيه توجهات جديدة راقية وإنسانية تجعل التوجهات الحيوانية الغرائزية أموراً ثانوية ومضبوطة. وبفعل هذا التحرك والسعي العقلاني المستمر تتبعث من زاوية

أخرى من وجوده المخفي توجهات أعلى وأعمق مصبوغة بالشوق والانجذاب والحب، إنها زاوية القلب التي - في حال اتبع توجهاتها وجذباتها المؤيدة بالعقل، وازدادت وتيرة ترددداتها وانبعاثها . تكشف له عن عالم واسع لا حد له، كما في الحديث القدسي: «لم تسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن» هذا العالم الذي كان مجهولاً عند صاحبه المنشغل بشؤون البدن وحاجاته هو عالم كبير بل هو العالم الأكبر.

أتحسب أنك جِرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وليس هذا العالم سوى حقيقة الإنسان المجهولة. لأن الإنسان روح وقلب، وحياته الحقيقية التي خُلق ليعيشها هي الحياة المعنوية التي تظهر بكامل صورتها يوم القيامة. كما جاء عن رسول الله ﷺ : «**لا عيش إلا عيش الآخرة**». والله تبارك وتعالى يقول في كتابه المجيد:

| يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم |. الشعراء: 89

إن الجسم السليم، وإن كان شيئاً مطلوباً، إلا أنه لا يعبّر عن

هذه الحقيقة. وليس هو ما يبحث عنه الإنسان من أعماقه. وقد يمرض هذا الجسد وتبقى روحه قوية عالية متكاملة.

والعقل السليم أمر في غاية الأهمية، ولكنه لن يكفي لوحده لتأمين السعادة المنشودة. وإنما السعادة في سلامة القلب. وسلامة القلب في تعلقه بالله وطرد الأغيار منه.. سلامة القلب في امتلائه بحب الله وترك التعلق بكل ما عداه.

ويجهل الكثير من الناس ما يحصل داخل أجسامهم. إلا أن جهلهم بما يجري في ذواتهم وأنفسهم أشد. ومثلما ندرس علم التشريح لنعرف كيف يعمل جسم الإنسان، نحتاج إلى علمٍ لنتعرف فيه على النفس البشرية، ولنعلم كيف يتحرك الإنسان وكيف يتجه نحو ما يصبو إليه، ولماذا تصدر منه الأعمال الشريرة أحياناً والصالحة أحياناً أخرى، ولماذا يغلب الشر عند البعض، فلا تصدر منهم إلا الأعمال السيئة، بينما يتمكن آخرون من تغليب الخير فتصبح جميع أعمالهم موافقة للصلاح!

وبفهمنا لحقيقة النفس وقواها نتمكن من الإجابة عن هذه الأسئلة بصورة صحيحة ومنسجمة.

إن أول ما يظهر من الإنسان من خلال تفاعله العملي مع أحداث الحياة وشؤونها هو أعماله وتصرفاته التي يستخدم لأجل القيام بها أعضاء بدنه. هذا هو ظاهر الإنسان. وإذا قمنا بدراسة منشأ هذه الأفعال والتصرفات وسبب تمايزها بين إنسان وآخر، نجد أن وراءها مجموعة من الصفات أو الميول النفسية الباطنية والتي يعبّر عنها بالملكات والطبائع أو الأخلاق. فإن صدور أي فعل أو موقف من الإنسان سببه هذه التركيبة النفسية المكوّنة من مجموعة كبيرة من الصفات النفسانية والخُلقية. مثلما يصدر من المبتلى بالعُجّب تصرفات خاصة بخلاف المتواضع. وقد تُرسم مسيرة الشخص على ضوء هذه الصفة أو تلك.

ولكن، إذا كانت الأعمال تنشأ من الأخلاق والملكات النفسانية، فمن أين تنشأ هذه الصفات، وكيف تتشكل؟!

إننا عندما نحلل أصل جميع الحالات النفسانية نجد أنها ترجع إلى الإيمان أو الكفر بالله سبحانه. ولا ننسى: الإيمان بالمعنى الذي فسرناه لا ما هو رائج وشائع بين العوام. ومن

الشـواهد القـرآنيـة الـواضحـة على هذه المسـألة قـوله تعـالى في حكايته عن ابليس اللعين:

| .. إلا ابليس ابى استكبر وكان من الكافرين | .
ص: 74

فكفره المخفي كان وراء استكباره عن السجود لآدم الذي أُمر به. وجميع الملكات والأخلاق الرذيلة في النفس ترجع إلى الكفر. كما أن جميع الملكات والأخلاق الفاضلة ترجع إلى الإيمان. وعندما تتجاذب الملكات الفاضلة والرذيلة إنساناً ما، فهذا يعود إلى صراع دائر في قلبه (الذي هو محل الإيمان) بين الإيمان والكفر. فمثل هذا القلب لم يصفُ للإيمان. وبهذا الشأن يقول الله تبارك وتعالى:

| وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون | .

هذا حال أكثر المؤمنين. لأن قلوبهم ما زالت متعلقة بغير الله أيضاً. فعندما يمتزج الإيمان بالكفر ينتج الشرك الذي هو الظلم العظيم والذنب الذي لا يُغفر. فقد تُغفر جميع الذنوب إلا الشرك، كما في قوله تعالى:

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك...﴾. النساء: 48

ولهذا يتحمل الإنسان مسؤولية كبرى في إزالة الشرك من قلبه. وإذا وُفِّق في نهاية المطاف للتخلص من الشرك يفوز بالسعادة الكبرى حتى وإن كان قد اجترح الذنوب العظام.

إن ما ينفع الإنسان يوم القيامة هو القلب السليم. والقلب السليم هو الذي لا يكون فيه مع الله أحد (كما جاء في الحديث الشريف). أي القلب الذي خلص من الكفر ولم يعد مشركاً.

وعندما يكون القلب مشركاً ويحمل في زواياه الكفر، يعيش الإنسان حالات وملكات نفسانية رذيلة تتصارع مع الملكات الفاضلة في الحياة في صورة صدور الأفعال السيئة والأفعال الحسنة. كل فعل يرجع إلى أصله ويزيد من قوته ورسوخه. فليست الأفعال ظهوراً للملكات فحسب، بل تعمل أيضاً على زيادة قوة ملكاتها، هذه الملكات التي تلعب دوراً أساسياً في ترسيخ الكفر أو الإيمان في القلب.

من هنا كان العمل السيء وارتكاب الذنوب عاملاً رئيسياً في الوصول إلى الكفر النهائي:

| **ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى إن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون** |. الروم: 10

ويقول سبحانه:

| **بل الذين كفروا يكذّبون** |. الانشقاق: 22

❖ هنا قد يطرح إشكال بسيط وهو أننا نرى كفّاراً يتمتعون بصفات أخلاقية عالية، فكيف يقال أن الأخلاق الفاضلة ترجع إلى الإيمان؟!

ـ الجواب المختصر هنا أن هذه الأخلاقيات العالية التي تظهر في الكفار لا تكون ملكات راسخة في النفس. بل هي معرّضة في كل لحظة للتبدل. فالكافر المتواضع الذي تمرّس على هذه الصفة لأسباب عديدة (لينال ثناء الآخرين ومدحهم مثلاً) نجده في لحظة تعرّض معبوده الواقعي ـ الذي هو النفس والشيطان والدنيا ـ إلى خطرٍ ما، يخلع عن نفسه هذه الصفة فوراً ويتحول إلى إنسان متكبّر.. والجواب يطول وإن كان في الاختصار فائدة.

إن الحديث الشريف «**إن الله ينظر إلى قلوبكم ولا ينظر إلى**

صوركم، لا يعني أن الله تعالى لا يرى الأجسام والأعمال! كيف؟ وهو يدرك الأبصار. بل إن معناه هو أن الحساب يكون على أساس ما في القلب. ولهذا يقال أن الإنسان لو جاء بحسنات العالم أجمع ولم يؤمن بالله تعالى فلا تنفعه أعماله. وهذا القول من باب التأكيد على موقع الإيمان. فلا نتصور في الواقع إنساناً يفعل الخير طوال حياته وليس بمؤمن.

إن الوسيلة الأولى لنيل الإيمان وتعميقه هي العمل الصالح الذي يثمر في أول ما يثمر اكتساب مكارم الأخلاق، وهي بدورها التي تكون وسيلة لنيل الإيمان والازدياد منه. ويسير الإنسان في الحياة الدنيا وسط ابتلاءاتها وامتحاناتها متخذاً المواقف الصالحة هنا والسيئة هناك، وهو يكتسب المزيد من الإيمان أو المزيد من الكفر، متقلباً بينهما إلى أن يموت. فإما أن يموت مؤمناً أو كافراً. والكثير من الناس يحملون معهم شِركاً. ولأن الشرك لا يغفر، فلا بد من تصفيته حتى يدخل الإنسان الجنة. وبعض مراحل تصفيته قد تكون في جهنم. ولعل قوله تعالى:

| لابثين فيها احقاباً | (أي فترات زمنية محددة)

يشير إلى جهنم التي تؤدي دور تصفية القلب والفؤاد كما في قوله تعالى:

| **نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة** |. الهُمزة: 7

إشارة إلى هذا الأمر.

ولأن الإنسان يصعب عليه أن يطّلع على ما في قلبه مباشرة، ولأن الأعمال الصالحة قد يقوم بها الكافر، فكيف له أن يعرف ما إذا كان مؤمناً أم لا؟

هنا يأتي دور الملكات النفسانية. إنها تكشف بصورة عالية عن الإيمان والكفر. فالحسد في القلب تعبير عن وجود الكفر. وهو في الحديث الشريف **«يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»**. نعم، نحتاج هنا أيضاً إلى واعظ خبير يدلنا على مكامن النفس وخصوصيات الأخلاق.

هنا نمتلك معياراً جيداً لقياس حرارة إيماننا. فإذا كنّا نؤدي الأعمال الصالحة ونطيع الله (ما يفترض أن يكون مقتضى الإيمان الواقعي) فإنّ توجه النفس نحو الأخلاق الفاضلة وسهولة التحلي بها، والنفور من الأخلاق الرذيلة والابتعاد عنها، يدل على

أن أعمالنا تقودنا نحو الإيمان المطلوب.

ولهذا أكد أولياء الدين على اكتساب معالي الأخلاق كونها سياجاً منيعاً للإيمان وطريقاً سريعاً إليه. بل كان إتمام مكارم الأخلاق سبباً لبعثة النبي الأكرم كما قال ﷺ : **«إنما بُعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق»** الذي هو شرح لقوله تعالى:

﴿ويزكّيهم ويُعَلِّمَهم الكتاب والحكمة﴾. الجمعة: 2

مما يدل على التأثير الحتمي للأخلاق الفاضلة على الإيمان.

من مجموع الآيات القرآنية التي تحدثت عن مصير البشر، يتبين لنا أن موضوع الإيمان والكفر يحتل الموقعية المركزية في الوجود. ولهذا يمكن القول بأن الوظيفة الوحيدة للإنسان هي تصفية القلب. وأن جميع الأعمال التي جاء بها الشرع وأمر بالقيام بها، وكل تلك النواهي الواردة فيه، كانت لأجل الوصول إلى الإيمان وتحصينه والبلوغ به إلى أعلى مراتبه.

وإذا التفت الإنسان إلى هذه الحقيقة ينصبّ اهتمامُه في الحياة على السعي لتقوية الإيمان وجعله المحرك الوحيد لكل تصرفاته في الحياة، ويتركز توجهه على اكتشاف ما يجري في

قلبه، لأنه سيحشر يوم القيامة على أساسه، ويكون مصيرُه بناءً على توجهه.

بما أن الإيمان الإسلامي هو الإيمان بالله سبحانه، وحيث أن الإيمان لا يتحقق بدون معرفته. فعلى من أراد الوصول إلى الإيمان أن يسلك طريق معرفة الله تعالى. وبعبارة أخرى، عليه أن يتعرف إلى الله لأن تصوراته الخاصة ومعلوماته التي كوّنها في ذهنه لن تكون مفيدة ونافعة لتحصين الإيمان.

والوسيلة الأساسية للمعرفة هي العقل الذي يستخدم القواعد المنطقية للبحث والتفكر. ولا شك بأنّ سلوك الطرق الأخرى للبحث لن يوصل إلى اليقين. أما الذخيرة والمادة التي تثير العقل للتفكر فهي هذا العالم المحيط به ونفسُه التي بين جنبيه. فقد جعل الله تعالى هذا العالم الواسع وهذه النفس الإنسانية آيات وعلامات دالة عليه:

| سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اوَلم يكفِ بربك انه على كل شيء شهيد |. فصّلت: 53

فإذا فكر الإنسان بعقله في العالم وفي نفسه، يتعرف إلى الله ويعلم أنه الحق. ومثل هذا التفكر يعدّ من أهم العوامل التي توقد شعلة الإيمان في النفس وتسعّرها حتى تصل إلى نار قوية كالجمر في القلب. ذلك لأن كل ما في نفسه وما حوله يدل على صفات الخالق ويحكي عن عظمته التي يخرّ عندها العلماء. يقول الله تعالى:

| إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار |. آل عمران: 191

والمادة الأخرى التي تغذي بقوة عملية التفكر هي الآيات القرآنية وأحاديث المعصومين الكمّل، من الأنبياء والأولياء عليهم السلام وهذه المادة الغنية لا تقل في قوة التأثير عن الآيات الآفاقية والأنفسية. بل تزيد عنها، لأنها تحرك الإنسان نحو التفكر وتقدم له مادة جاهزة كاملة. فهي الكلام الحاكي عن ذات الله سبحانه.

فإذا كان القرآن فإنه أعظم وصف للّه عز وجل. وقد قال إمامنا الخميني الراحل الذي هو أعظم عارف بالله «لولا القرآن الكريم لبقي طريق معرفة الله مسدوداً إلى الأبد». وإذا كان كلام المعصومين (عليهم السلام) من النبي وآله الأطهار فهم أفضل من عرف حقائق القرآن وآياته وقد قال الله عز وجل:

| وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون |. النحل: 44

ففي البداية إذاً، لا بد من وجود عقل يتفكر. ولأجل الوصول إلى الإيمان عن طريق المعرفة، ينبغي التفكر في:

1. الآفاق.
2. النفس.
3. القرآن الكريم.
4. كلمات المعصومين (عليهم السلام).

وهذا التفكر يشبه الخزّان الذي يمد الإنسان بالإيمان. وقد قال الله تعالى:

| إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجِلتْ قلوبهم وإذا

تليت عليهم آياتُه زادتْهم إيماناً.. |. الأنفال: 2

التفكر الصحيح يؤدي إلى المعرفة الصحيحة. وهذه المعرفة هي خزّان الإيمان. ولكنها لا تكفي لوحدها لتحقق الإيمان. فإذا تأملنا في معنى الكفر الذي يقابل الإيمان ويضادّه، نعلم أن مشكلة الكفّار لم تكن في الجهل بل في الإنكار!

الكفر يعني الإنكار بعد العلم. والمعنى اللغوي للكفر هو الإخفاء. وقد وصف الله تعالى في إحدى آياته الزراع بالكفار. لأن المزارع هو الذي يضع الحبّ تحت التراب ويخفيه.

وإذا كنا نشاهد الكفّار جاهلين في معظم الأحيان، فذلك لأننا نظرنا إلى مقطعٍ من كل المشهد، ولم نطّلع على المشهد الكامل. فالكفر يبدأ بالإنكار ورفض الحق ويتحول إلى جهل، حتى تحسب الكافر جاهلاً، وتظن أنه لا يعرف الله ولا يعلم عنه شيئاً. ولكن الكفر هو إنكار عن علم وإن غفل عنه صاحبه. فعلى أثر العناد والجحود والتكبر وحب الفجور ينكر الإنسانُ ربَّه ويكفر به. ولو افترضنا أن شخصاً كان ينكر وحدانية الله ويكفر به عن جهل، فإن الله تعالى لن يميته إلا بعد أن يبين له الحقيقة ويوضّحها له. وهذا ما يطلق عليه عنوان إلقاء الحجة:

| لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل |.

النساء: 165

وهو قانون إلهي وسنة كونية لا يُستثنى منها إنسان واحد.

فلهذا يحتاج الإنسان، بالإضافة إلى المعرفة، إلى أمرٍ آخر للوصول إلى الإيمان، وهو العمل. وقد جاء في الحديث «إن الإيمان لا يثْبُتُ إلا بالعمل».

ولكي تتضح المسألة أكثر، ندرس كيفية علاقة الناس مع الإيمان والمعرفة حيث نخرج بهذا التقسيم؛ فإنّ الناس بالنسبة للإيمان فئات:

أ. منهم من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه. وهذا الذي يدّعي الإيمان وليس بمؤمن. قال الله تعالى:

| يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم |. الفتح :11

ب. ومنهم من آمن بعقله، ولم يدخل الإيمان إلى قلبه. فعقله مصدّق بوحدانية الله ومدرك للوازم التوحيد من الاعتقاد ببعث الرسل واليوم الآخر وغيرها، ولعل أكثر الآيات التي دعت المؤمنين إلى الإيمان والعمل كالآية المباركة:

| يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله.. |.

النساء: 136

أو الآيات التي ذكرتْ لهم أوصافاً وحالاتٍ أقل شأناً من الصفات والأحوال التي ذكرتها لهم في أماكن أخرى، كمثل قوله تعالى:

| ألم يأنِ للذين آمنوا ان تخشع قلوبُهم لذكر الله |.

الحديد: 16

التي تغاير التأكيد على وجود هذه الصفة في المؤمنين كقوله تعالى:

| إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجِلتْ قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً |. الأنفال: 2

نفهم منها أن هناك مرتبة من الإيمان لم تدخل القلب، وإلا لكان تأثيرها جلياً، مثل حصول الخشوع والوجل وغيرها من الآثار.. ويتأكد هذا بالالتفات إلى الطبيعة الإنسانية، فإننا غالباً ما نقابل أشخاصاً يعلمون الحقيقة ولا ينكرونها، لكنهم لا يلتزمون بالعمل على أساسها. ولو كان العلم والاعتقاد العقلي

كافياً لكان كل عالمٍ عاملاً، وهذا ما لا يدّعيه أحد.

ج. ومنهم من آمن قلبُه، وهو يقطف ثمار الإيمان في الحياة. ويتجلى الإيمان في ظاهره بالعمل الصالح والسعي نحو الكمال وبلوغ مقام الطمأنينة واليقين، ولعل قوله تعالى:

| اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي |.

البقرة: 260

إشارة إلى هذا المقام. وقد يكون إشارةً إلى مقام أعلى من الإيمان القلبي الابتدائي وهو الإيمان الشهودي الذي عبَّر عنه البعض بالإيمان الأعظم. وعلى كل حال فهو من مقامات الإيمان القلبي. وهو الإيمان المطلوب.

د. ومنهم من يؤمن بقلبه ويقدّم امتحان الإيمان بنجاح. وهذا هو المؤمن الممتحن الذي يذكر في الروايات إلى جانب الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين. كالحديث الشريف: **«إن من حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو مَلك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان»**. وسنعود إلى هذا الموضوع لما فيه من نكات مفيدة ولطائف دقيقه.

هـ. ومنهم من كفر بالإيمان علناً:

| ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله |. المائدة: 5

فهو يتلفظ بكلمة الكفر ويعلن عن اعتقاده رفض التوحيد ولوازمه. أو يتصرف بما يعبّر عن كفره من عبادة الأصنام والأوثان مثلاً. وربما يدّعي أحدهم الإيمان بالله إلا أنه يعتقد بأمور تنافي حقيقة الإيمان، كما يقول الله تعالى:

| لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم |.

المائدة: 72

و. وقد يتسافل بعض الكفار إلى درك الجحود والعناد. كما في قوله تعالى:

| وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً |.

النمل: 14

ويسمى هذا بالكفر الجحودي. وهو أشد أنواع الكفر لأن فيه عناداً ومبارزة لله تعالى عن علم!

إن مصير الإنسان إذا مات كافراً هو العذاب الأليم في جهنم والنيران. يقول الله تبارك وتعالى:

| **الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً** |. النساء: 18

ولكن يستفاد من بعض الآيات القرآنية الشريفة أن هناك من يدخل إلى جهنم ويخرج منها كما في قوله تعالى:

| **لابثين فيها أحقاباً** |. النبأ : 23

وغيرها من الآيات. وهذا بخلاف بعض الآيات التي تؤكد على خلود الكافرين في جهنم كقوله تعالى:

| **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أبداً** |. البينة: 8

وقوله عز وجل:

| **ومن يعصِ الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً** |. الجن: 23

وقوله سبحانه:

| **ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين** |. غافر: 76

فيعلم من قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل «وأقسمت..

أن تخلّد فيها المعاندين، إن بعض الكفر لا يزول بالعذاب المؤقت. ويكون المقصود من الفئة الأولى من الآيات أن هناك نوعاً من الكفر يزول على أثر العذاب والتصفية في جهنم. وربما احتاج إلى آلاف السنين.

|خالدين فيها ما دامت السموات والأرض| . هود: 107

من جانب آخر، نفهم من خلال التأكيد المتكرر - عند ذكر أهل الجنة من المؤمنين - على العمل الصالح، أن الإيمان بدون العمل الصالح لن يكون كافياً للخلود في الجنة. وهذا ما يتضح عند مراجعة كل الآيات التي وصَفت أهل الجنة وشروط الدخول إليها. ومن المعلوم أن الإيمان الذي يحرك نحو العمل الصالح ويكون له الآثار الطيبة، هو الإيمان الذي يسكن القلب.

نعم، الإيمان العقلي أو الاعتقاد يدعو إلى الصلاح. ولكنه لا يضمن ذلك بشكل مستمر. وهو لا يقدر على مواجهة إغراءات الدنيا وشهواتها، ولا يثبت صاحبه في البلاءات الكبرى والفتن.

من هنا نجد أن الآيات التي ذكرت المؤمنين المفلحين والفائزين، بيّنت لهم صفاتٍ لا تنشأ إلا من الإيمان القلبي، كقوله

تعالى:

| **قد أفلح المؤمنون ● الذين هم في صلاتهم خاشعون**|. المؤمنون: 1-2

بينما بعض المؤمنين ينقلبون على أعقابهم:

| **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً** |. النساء: 137

فالإيمان الذي لم يرسخ في القلب معرّض للزوال عند كل فتنة وبلاء. والمصيبة أنه سيزيد الإنسان كفراً عند السقوط ويوصله إلى حيث لا رجوع بعدها إلى الإيمان.

الكافر هو الساقط الذي تكون حياته سيراً باتجاه العذاب والضياع. والمؤمن بعقله فقط قريب من الخطر بل هو في خطر السقوط في أية لحظة، وخسارة هذا القدر من الإيمان. هذا المستوى من الإيمان لن يكون كافياً لتأمين حالة الصلاح المطلوب والثبات عليها، ولن يقدر على ردعه عن ارتكاب الذنوب والمعاصي في لحظات الفتنة التي ستمر على الجميع: «أحسب الناس أن

يُتـركوا أن يـقـولـوا آمـنـا وهـم لا يـفـتـنـون..». ونـحـن نـعـلـم أن عـاقـبـة الـذي يـصـرّ على الذنوب والمعاصي هي الـكـفـر، لقوله تعالى:

| ثم كان عـاقـبـة الـذيـن أساؤوا الـسـوأى إن كـذبـوا بـآيـات الله وكـانـوا بها يـسـتـهـزئـون |. الروم: 10

إذا ادّعى الإنسان الإيمان - ولنفرض أنه لا يعلم حقيقة ما في قلبه - فإن الله تعالى سيُظهر ما فيه من خلال امتحانات الحياة المعبَّر عنها بالفتنة:

| أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين |.

التوبة: 126

ولأن اطلاع الإنسان على ما في قلبه مهم جداً ومصيري في هذا العالم قبل الانتقال إلى العالم الآخر، حيث لا مجال للرجوع، فإن الله عز وجل يفتن الإنسان من باب الرحمة به، ليعمل على إزالة كل عناصر الكفر وشوائب الشرك من قلبه، ويكون ذلك سبباً لتكامله. وهو تعالى لا يفتنه لكي يضله؛ قال الله عز وجل:

| وما كان الله ليُضيعَ إيمانكم أن الله بالناس لرؤوف رحيم |. البقرة: 143

ولهذا نحن لا نقول كما يردد البعض نقلاً عن الإنجيل: «ربِّ لا تدخلني في التجارب»! بل نؤمن بأن هذه التجارب والامتحانات أمر إلهي لا مفرّ منه أولاً، وهو من أهم عوامل الصلاح ثانياً.. نعم، نحن ينبغي أن نعترف لله بعجزنا عن النجاح بمفردنا وبالاتكال على قوتنا. ولهذا نسأل ربنا أن يعطينا ظهوراً تقوى على حمل البلاء كما كان أئمتنا العظام عليهم السلام يفعلون.

هنا، إذاً، لا ينبغي أن نقلق كثيراً، لأن الله قد تكفّل بإظهار الحقيقة. وإظهار ما يخفي باطننا، لكي نعمل على تدارك الموقف قبل حلول الأجل. فالبلاءات والفتن تؤمّن الفرصة المناسبة لكل من غفل أو جهل ما في قلبه لكي يتعرف على الحقيقة. وهذا أحد أهم أسرار البلاء، بل وجودنا على الأرض.

وقد لا يحتاج للبلاءات من يراقب نفسه مراقبة جيدة لكي يتعرف على قلبه، فإن مسيرة الحياة وحوادثها العادية تكفي للنظر. والمراقبة الدائمة للنفس تسهّل عليه الاطلاع والمعرفة.

في المقابل، هناك من لن يطّلع على باطنه أبداً. فإنه بعد تكرر البلاء وتكرر إظهار الحقيقة له دون الاستفادة للتوبة والرجوع

يقفل باب الرحمة عليه بسبب تجبّره وتكبره. وقد قال الله عز وجل:

| **وطَبَع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون** |. التوبة: 93

| **كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّر جبّار** |. غافر: 35

وهذه أسوأ حالة يصل إليها البشر.

لوازم الإيمان

للإيمان بالله لوازم عــديدة. فلو وُجــد الإيمان الواقعي في القلب يستلزم إيماناً بمجموعة من الحقائق إلى جانب الحقيقة الكبرى وهي التوحيد. فعلى سبيل المثال، إذا آمن أحدنا بكرم رجل، فهذا يعني أنه سيؤمن بأن هذا الكريم يعطي المحتاج عند الضرورة، لأن العطاء لا ينفك عن الكرم عند القدرة وهو من لوازمه. كذلك إذا جئنا إلى الإيمان الإسلامي، فإن ما يتعلق به هو الإله الواحد الأحد الخالق المدبر الذي بيده كل شيء وهو الولي الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، والرحيم العادل الذي له صفات الجمال والجلال على نحو الإطلاق. فمعنى رحمته أنه يأخذ بيد مخلوقاته إلى كمالها. ومعنى عدله أنه لا يظلم أحداً ولا يساوي بين المجرم والمحسن.

إن الإيمان بالله تعالى المتصف بهذه الصفات يستلزم الإيمان بلوازم هذه الصفات أيضاً. فالعدل الإلهي لا ينفك عن إجراء محكمة العدل الكبرى بعد موت المجرمين والمحسنين:

| افنجعل المجرمين كالمسلمين ما لكم كيف تحكمون|. القلم: 36

وهذا هو الإيمان بالمعاد أو اليوم الآخر.

والإيمان بلطف الله ورحمته يستلزم الإيمان بمقتضى هذا اللطف والرحمة، الذي يتجلى بشكل ضروري في وجود المنذرين والهادين من البشر ليقتدي بهم الناس. وهذا هو الإيمان بالنبوة والإمامة.

ولهذا نجد أن الآيات التي تحدثت عن هذه اللوازم الضرورية للإيمان، وجعلت الإيمان بها إلى جانب الإيمان بالله، وعدّت الكفر بها كفراً بالله، قد ذكرت تعليلاً للزومها من خلال ذكر صفة أو عدة صفات لله تعالى معها. وكأنها تقول لنا: لأن الله «كذا» ينبغي «كذا».

فعلى سبيل المثال نجد الآيات التي ذكرت حتمية وقوع المعاد

تقول:

| الله لا إله إلا هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً |. النساء: 87

فالتوحيد يقتضي وجود يوم القيامة.. أو قوله تعالى:

| كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة |. الأنعام: 12

وحول بعث النبي يقول الله سبحانه:

| وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شي ء |. الأنعام: 91

إن هذه القضايا التي اعتبر الإيمان فيها جزءاً لا ينفك عن الإيمان بالله تعالى، ترجعِ في أصولها إلى معرفة الله والإيمان به وليست أمراً مغايراً له.

والواقع أن معظم امتحانات البشر تتعلق بهذه اللوازم. لأنه من السهل ادّعاء الإيمان بالله طالما ظننّا أنه في السماء! ولا يتدخل في حياتنا. ولكن الإيمان الواقعي يبرز عندما يحصل هذا الاحتكاك وعندما يريد الله عز وجل أن يتدخل في حياتنا

(وبالطبع لأجل هدايتنا). وليس بعث الرسل ووجود الأئمة الذين هم حجج الله على العباد إلا للكشف عن مدى صدق الادعاء المذكور.

فلو كنت تؤمن بالله حقاً، لماذا تستبعد أن يجعل لك من يقودك في الحياة وفق شرع الله؟!

وإذا كنت تؤمن بالله حقاً، لماذا تنكر وجود يوم تحاسَب فيه على أعمالك.

أليس هذا الإنكار مرده إلى أنك تريد التفلّتَ من الله وعدم طاعته. قال الله تعالى:

| ومن يطع الرسول فقد أطاع الله |. النساء: 80

إن الله تعالى لم يخلقنا لكي نؤمن بلفظ «الله» ولم يجعل كمال الإنسان في التلفظ بكلمات معينة أو حروف خاصة. بل المطلوب هو معرفة الحقيقة المطلقة والإيمان بها والعيش وفقها والسير نحوها. هذه الحقيقة هي وجود الإله ذي الصفات العظمى التي تقتضي ما ذكرناه من البعث والحساب ووجود الحجج على البشر و...

ومن هذا المنطلق آمن الشيعة بالإمامة بعد النبوة كونها من

لوازم اللطف الإلهي الذي لا بديل له. وإن بقاء الحجة الإلهية على العباد من لوازم الرحمة الإلهية بهم. ومن هذا المنطلق أيضاً استدل الإمام الخميني (قده) على ضرورة وجود فقيه يتولى قيادة المجتمع الإسلامي على أساس شريعة الله في عصر غيبة الإمام المعصوم (عج). وقد أشار إلى هذا المطلب في كتاب «البيع» عندما ربط هذه الضرورة بحكمة الصانع ورحمته. وذكر أيضاً أن الدليل على هذا الأمر هو نفس الدليل الذي نتمسك به لإثبات النبوة والإمامة. فلماذا يتم استبعاد هذا الأمر واستهجانه؟!

الجواب ينبغي أن نبحث عنه في القلب.

فالنتيجة التي نخلص إليها من خلال هذه الإشارات أن كل ما كان لازماً للصفات الإلهية ولا بديل له ينبغي الإيمان به. ويمكن الاطلاع على المزيد من التفاصيل في الكتب الاستدلالية العقائدية.

1 ـ بعض هذه اللوازم لا يحتاج إلى بيان وابلاغ لأنه قريب جداً من أصل التوحيد بمعناه الشامل.

2ـ والبعض الآخر أحتاج الناس في الوصول إليه والتوجه

نحوه إلى ابلاغ وتنبيه من الله تعالى.

3 ـ وهناك لوازم للإيمان يختص بها من آمن بالقسم الثاني.

هذا، مع أن الله تعالى قد ذكر كل ما ينبغي الإيمان به في كتابه الحكيم. ويعدّ الإيمان باليوم الآخر أو بنبوة سيدنا محمد ﷺ من القسم الأول وذلك لشدة التلازم بين التوحيد والمعاد والنبوة. بينما اقتضى الإيمان بالإمامة بياناً إضافياً، وكذلك العدل الإلهي لكثرة الإشكالات والشبهات التي طرحت حولهما.

ومن القضايا التي تصدق على القسم الثالث قضية الإيمانِ بالرجعة التي لا تصل عقول الناس بمفردها إليها، وإنْ كانت لا تقدر على إنكارها. وقد حصل الاعتقاد بضرورتها من خلال تواتر الأخبار واستفاضتها. فالإيمان بالرجعة (التي تعني رجوع من محّضَ الإيمان محضاً ومن محّض الكفر محضاً من الموت إلى الحياة الدنيا في آخر الزمان) إنما يكون من نصيب الذين آمنوا بإمامة وعصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين أظهروا للناس هذه الحقيقة.

إن عقولنا لا يمكنها أن تقدم دليلاً ينفي إمكانية الرجعة. والرجعة لا تخالف ظاهر القرآن الكريم الذي ضرب لنا مثلاً:

|فأماته الله مئة عام ثم بعثه|. البقرة: 259

فأصل هذه المسألة يرجع إلى الإيمان بالقدرة الإلهية المطلقة. ولو أنكرها منكر مع التفاته إلى هذا الأصل نافياً لإمكانية إعادة الأموات إلى الحياة الدنيا لكان هذا كفراً واضحاً بالله سبحانه.

هذا مثل لعشرات القضايا الأخرى في الإيمان.

امتحان الإيمان

إذا كان سر وجود الإنسان على الأرض يُختصر في الوصول إلى الإيمان الكامل، فليس غريباً إذاً أن يكون كل ما يجري عليه من حوادث وشؤونٍ دائراً حول هذا المحور الجوهري.

إن عليه أن يقدم في نهاية المطاف وثيقة ارتباطه بالله. فمنهم مؤمن ومنهم كافر. حيث يتم الحساب على هذا الأساس فتكون الجنة للمؤمنين والنار للكافرين، وهناك من تكون وثيقة ارتباطه مختومة بالكفر، ومن كانت وثيقته متسخة بالأعمال السيئة والملكات الرذيلة يحتاج إلى تصفية لإزالة كل ما علق بها.

وتشكل الحوادث الكثيرة التي تمر عليه - سواء الحلو منها أو المر - عاملاً مهماً: لتمكينه من قراءة هذه الوثيقة قبل أن يحين الأجل، وللسعي لتثبيت الإيمان وإزالة الشرك العالق في قلبه.

وتمثّل كل حادثة من هذه الحوادث فرصة لهذا الإطلاع والإصلاح، وربما يسقط المبتلى في الامتحان فيفقد من إيمانه شيئاً أو يفقده بالكامل.

في مثل هذه الفتن قد يتيقن الإنسان من إيمانه ويرى في قلبه توجهاً حقيقياً وعميقاً نحو الله تعالى، فلا يرى غيره مؤثراً ويصبح كيانه متعلقاً بمفيض الكمال والخير على الإطلاق. فهل يعتبر هذا مؤشراً على أنه ثبت على الإيمان أم أن هناك احتمال سقوطه من جديد وخسارة أعماله الحسنة كما مثّل لنا الله تعالى بقوله:

| .. ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون |. البقرة: 217

أليس هناك من امتحان يطمئن الإنسان معه أنه قد ثَبَتَ على الإيمان ولن يرجع عنه؟! والحق أن الرد هو الإيجاب، ولكنه يحتاج إلى تفصيل وتأمل.

نعم، يوجد امتحان من هذا القبيل. وهو فرصة تُعطى لكل

مـؤمن سـالك طريق التكامل الإيماني. وهو ليس مـشـخـصـاً بخـصـائص ظاهـرية. فليس بالضرورة أن يكون امـتحـان الثبـات أمام الإغراءات المادية أو الشهوانية أو غيرها. ولا يمكن القول بأنه امـتحـان إغراء النساء - وإن كان قوياً - أو امتحان الشـهـرة والجاه على سبيل الحصر. فربما يكون أحد هذه الامتحانات. ولكن لهذا الامتحان خصائص عامة أساسية منها:

- إنه آخر امتحان. ومن بعده تكون الحوادث الأخرى فاقدة لمضمون الامتحانية. وإنما تكون من باب إظهار المزيد من الكرامة ولعلو الدرجة أو من باب العبرة والإمهال.

- إنه يجمع جميع أنواع المضلات والمغريات نحو الكفر، ولو كان بظاهره شيئاً واحداً. بحيث لو مرّ عليه فيما بعد جميع أنواع الامتحانات التي مرت على البشر منذ فجر البشرية وإلى يوم القيامة، لكانت مثله أو أقل منه.

ولا شك بأن فلسفة الامتحان، مهما تنوع بشكله، هي أمر واحد يتعلق بالإيمان بالله تعالى، بوحدانيته، وبقدرته المطلقة وتأثيره اللامتناهي.

عندما يهدد الحاكم الظالم - سواء كان فرعون أو النمرود أو أي حاكم في عصرنا الحالي - الإنسان برزقه، أكان ذلك مباشرة أو عبرالإيحاء له بقطع الرزق (والأخير هو الأكثر انتشاراً)، فإن الإيمان بالرازقية المطلقة لله هو الذي يواجه. وعندما يسقط هذا الإنسان في هذا الامتحان ويقبل أن يكون معيناً للظالم وعاملاً في نظامه، فذلك لأنه لم يكن مؤمناً في الحقيقة، وقد سلك طريق الظلم تحت حجة تأمين رزقه. ولو كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن الرزق بيد الله وأن الله يمتحنه بذلك، لثبت ولرأى من رحمة ربه ما يعجز عنه وصف اللسان.

وكذلك عندما تقترب منه امرأة مزينة بالشهوة والإغراء، فإنه لو كان يؤمن بعطاء الله حقاً، وما أعده الله له في الدنيا والآخرة، لأعرض عن الحرام، ولأدرك أن في الحلال ما يكفيه في حاجاته كلها.

وإذا أقبلت الشهرة والمنصب والجاه وهي تطلب منه غصب هذا الحق ممن نصّبه الله له، فإن الإيمان هو الوحيد الذي يقول له أن العزة لله جميعاً، وابتغوا العزة عند الله وليس عند الناس.

ولكن تراه مقبلاً مستعداً لسفك دماء البشرية من أجل الوصول إلى السلطة والمناصب.

فلو قمنا بتحليل جميع الامتحانات التي تخطر بالبال، لوجدناها في حقيقة الأمر ترجع إلى امتحان الإيمان. وعليه، فإن الامتحان النهائي الذي يثبت فيه الإيمان دون رجوع هو الذي يصبح فيه القلب سليماً خالياً من غير الله، وتفقد جميع البلاءات عنده قوة الإغراء أو التهديد.

ويكون حال الباحث المترقب لهذا الامتحان حال الناظر في عمق التاريخ وأفق المستقبل للتدبر في ما جرى على البشرية وكيف سقط البعض ولماذا. وينظر إلى المستقبل مستمعاً إلى الروايات العديدة التي تصف حال الناس والمؤمنين في آخر الزمان ومع الإمام. ثم يرجع إلى نفسه ويدرس مواقفها في الحوادث والبلاءات التي مرت عليها ليتعرف على وضعها فيما لو واجهت ما اطلع عليه.

هل كان ليتخذ موقفاً مشابهاً لأصحاب الأخدود عندما حفروا لهم خندقاً من نار وخيّروهم بين الموت على الإيمان أو الحياة مع الكفر؟

هل كان ليصمد فيما لو شاهد أخاه ينال كل التوفيقات التي حصل عليها هابيل؟

هل يمكن أن يتقبل أن يحكمه رجل في الثالثة والثلاثين من العمر بينما هو شيخ كبير؟

هل يثبت أمام مثل إغراءات زوجة عزيز؟

وعشرات الأسئلة التي تحتاج إلى جواب. وهي أسئلة مستخرجة من حوادث عظيمة جرت في التاريخ.

ثم أنه هل سيقبل أن يسير مع إمام الزمان (عج) وهو يأمره أن لا يأخذ معه أي زاد أو شراب في صحارى العراق والحجاز المقفرة؟

وهل يثبت فيما لو أمره بقتل إنسان يراه مظهر الإيمان والتقوى؟! وعشرات أخرى مما سيجري في آخر الزمان.

إذا كان أحدنا يكذب ليتخلص من إحراج صديقه أو جاره فكيف سيتمكن من الصدق في مواطن الجهاد والابتلاءات الكبرى؟

وإذا كنا نسرف ونبذّر في مأكلنا ومشربنا فهل سنتمكن من

الحفاظ على بيت مال المسلمين فيما لو ولّينا عليه أو على جزء منه؟

لقد كان الزبير رجلاً شجاعاً ذا قدم سابقة في الإسلام، وقد شهد المعارك الأولى التي خاضها المسلمون ولم يفر أو يرتد عن دينه، وتبعها بمواقف مشرفة بعيد وفاة رسول الله ﷺ. ولكنه بعد عدة سنوات وقف أمام أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي شعر أنه سيحرمه من الامتيازات المالية الضخمة التي أعطيت له من قبل من توالى على الخلافة والحكم بعد رسول الله ﷺ. وكان هذا الموقف الذي عبّر عنه رسول الله في مواطن عديدة بقوله: «يا علي حربك حربي» سقوطاً مريعاً أحبط جميع الانجازات المشرّفة له في السابق.

كان الشهيد السعيد العلامة الصدر يردد دائماً أمام تلامذته:
«هل عُرض على أحدنا دنيا هارون الرشيد ولم يفعل مثلما فعله؟!».

إذاً، لا يحق لنا أن نتبجّح بالإيمان حين الأمان وننسى مواقف الخوف، وكذلك لا ينبغي لنا الادعاء بفخر حين لا نملك إلا

القليل ونغفل عما يمكن أن يحصل فيما لو أقبلت الدنيا علينا.

وفي الدعـاء المشـهـور يقـول أمـيـر المؤمنين (ع): «أنا الذي إذا بُشرت بها (الدنيا) خرجت إليها أسعى...».

تكفير الناس

جميع المسلمين حساسون تجاه قضية الإيمان والكفر. فالقرآن الكريم جعلها قضية مركزية ومصيرية، ولشدة الاهتمام بها جاء الأعراب يدّعون الإيمان وهم ليسوا كذلك، فسلب الله تعالى عنهم هذا الأمر، ليعلّمنا أن الإيمان ليس بالادعاء.

ولكن يقع بعض المسلمين في أخطاء فادحة أثناء تطبيق بعض معايير الإيمان والكفر. فيكفّرون البعض الآخر، ويكون هذا سبباً لتعميق الهوّة بينهم وازدياد الفُرقة. ولعل التكفير كان أحدً سلاحٍ قصم المجتمع الإسلامي وأضعف قوته.

وعندما يقع هذا السلاح الخطر بأيدي المغرضين، يزداد تأثيره السلبي على المجتمع، ويؤدي إلى وقوع النزاعات

والحروب. فبعد أن يتم تكفير جماعة مسلمة ينطلق المكفّرون تحت شعار «**وقاتلوا الذين كفروا**» ليشنّوا حرباً في سبيل الله يسمونها الجهاد المقدس.

ويحدث مثل هذا الخطأ داخل الفرقة الواحدة، حيث نجد البعض يستسهلون تكفير من هم في ملتهم وطائفتهم لأدنى اختلاف. وينبغي الالتفات جيداً إلى أن تكفير من ليس بكافر يعدّ من المعاصي الكبرى التي يصعب كثيراً غفرانها. ولهذا نجد فقهاء الشيعة العظام يحتاطون جداً، ويميزون بين الكفر الاعتقادي الذي يكون حسابه على الله تعالى، والكفر الظاهري. أي أنه من الممكن أن يكون الإنسان كافراً في الحقيقة والعقيدة ولكن لا ينبغي أن نتعامل معه على أساس أنه كافر. بل يجب اعتباره مسلماً وأحياناً مؤمناً. ولهذا التشريع أسرار مهمة لا مجال للتعرض لها هنا.

هل يعني هذا أن هناك نوعين من الكفر؟!

كلا، فالكفر شيء واحد. وهو أن ينكر المرء الحقيقة الكبرى، وهي وحدانية الله تعالى أو أن ينكر حقيقة تستلزم إنكار هذه

الحقيقة كما تبيّن لنا عند الحديث عن الإيمان ولوازمه. فمثل هذا المنكر كافر سواء أحببنا هذا الوصف أم لا. إلا أن التكفير شيء آخر. فهو موقف نطلقه تجاه شخص نعتقد نحن أنه أنكر الحقيقة ولوازمها. ولكي يعصمنا الشرع المقدس من الوقوع في تلك المعصية الكبرى لم يدع لنا حرية اتخاذ هذا الموقف الخطر بل زوّدنا بمجموعة من العلامات الأساسية، وأمرنا بالاحتياط عند تطبيقها وخصوصاً إذا كان المتهم رجلاً عالماً له دور علمي مميز في المجتمع. ففي الدين الإسلامي حقائق عميقة قد يتصورها الجاهل للوهلة الأولى أنها مخالفة للحقائق الأولية التي يعرفها. ولهذا قيل:

وربَّ جوهرِ علمٍ لو أبوح به ... لقيل أنك ممن يعبد الوثنا
ولاستباح رجالٌ مؤمنون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

ويُروى عن الإمام الصادق عليه السلام بشأن الصحابيين الجليلين سلمان وأبي ذر (رضوان الله تعالى عليهما) أنه قال: «لو علم أبو

ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى بينهما رسول الله ﷺ».

وكم سجّل التاريخ من حوادث مفجعة كان فيها علماء كبار وموحدون عظام كُفّروا وأعدِموا بسبب جهل الناس والحكام.

ولهذا يمكن القول أن مهمة التكفير ينبغي أن تلقى على عاتق الفقهاء الكبار فقط. وينبغي لكل من يريد أن يحفظ دينه أن يتقي الله في إصدار تهمة التكفير ضد أي إنسان آخر. بل إذا نظرنا إلى الأوضاع والمقتضيات الزمانية لعصرنا لقلنا أن مهمة التكفير ينبغي أن تنحصر بيد الولي الفقيه لأنها تتخذ طابعاً سياسياً واضحاً وليست مجرد مسألة فكرية عقائدية.

نعم، قد يحدد الفقهاء علامات أساسية واضحة بحيث لا يقع التوهم بشأنها مثل تكفير البهائيين (راجع استفتاءات القائد). وأحياناً يُظهر البعض صريح الكفر بالله ووحدانيته ونبوة سيدنا محمد ﷺ واليوم الآخر. ففي مثل هذا الحال تكون الحماقة في عدم التكفير.

من جانب آخر، لا ينبغي أن نصدر حكم الجنة والنار على أحد لا نعلم مصيره النهائي. فقد يكون المرء كافراً اليوم ولكنه يموت

مؤمناً. ولهذا ينقل إمامنا الخميني (قده) عن أستاذه «الشاه آبادي» أنه لا ينبغي أن نلعن أي إنسان ما لم نعلم بمصيره. وهذا من الاحتياط الديني المطلوب. فمن منا يقدر على الجزم بمصير الناس؟ هذا وإن كان من الممكن استثناء المجرمين الذين توغلوا في سفك دماء الأبرياء لأن أفعالهم هذه تسد عليهم باب التوبة والرجوع.

إدعاء الإيمان أو النفاق

منذ أن ظهر البشر على الأرض، كانت الدعوة إلى الإيمان، وكان هناك من يدّعى الإيمان وهو لا يحمله. فالإيمان في الحقيقة أمر قلبي خفي وإن كان يظهر في عمل الإنسان وظاهره. ولكن هذه الأعمال التي هي مظاهر الإيمان وعلاماته قد يقوم بها من ليس بمؤمن في الحقيقة.

مثل هذا المدّعي الذي يُظهر الإيمان ويبطن الكفر يسمّى بالمنافق. ولشدة خطره على المجتمع والناس، حذّرنا الله تعالى منه كثيراً. ففي آيةٍ يقول الله عز وجل:

| **.. هم العدو فاحذرهم** |. المنافقون: 4

وفي آية أخرى يقول سبحانه:

| **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** |.

النساء: 145

وقد عرّفنا الله على صفات المنافقين وأعمالهم وبرامجهم، لأن خطرهم أشد من خطر الكفار الذين يعلنون الكفر. ولهذا نجد أن عدد الآيات التي تحدثت عنهم أكثر من الآيات التي تحدثت عن الكفار!

وسبب خطرهم بالدرجة الأولى يعود إلى أنهم يقدّمون صورة مشوّهة للإيمان. فيسقِطون ويضلون ضعاف النفوس. وقد يتحول هؤلاء إلى تيارٍ سياسي يقضي على المجتمع الإسلامي والحكومة الإسلامية من الداخل.

من المهم للغاية أن نطّلع على الآيات العديدة التي ذكرت المنافقين لاستخلاص الدروس والعبر. فما زال خطرهم جاثماً على مجتمعنا، وهم يلعبون دوراً سيئاً في تشويه الإسلام. وأهم هذه العبر التي ترتبط ببحثنا هذا هي:

- أن النفاق مرض قلبي يتفاقم:

| **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً** |. البقرة: 1

- ليس المنافق من كان داخلاً في حزب أو حركة سياسية (تدّعي الالتزام بالدين دون أن تفعل ذلك) فقط، فهذا من

المصاديق والنماذج الواضحة للنفاق. بل يمكن أن يكون النفاق متغلغلاً في قلب الإنسان وهو لا يشعر. وهذا أكبر درس نستفيده في هذا المجال. فقد يكون مثل هذا الشخص المريض منتمياً إلى حزب إيماني يلتزم حقاً بمعايير الإيمان وشروطه.

ـ على الإنسان الباحث عن الإيمان الصحيح أن يفتّش عن بذور وشُعَب النفاق في قلبه وإلا أودى به في نهاية المطاف في جهنم وبئس المصير.

حديث للقلب

﴿.. ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم﴾.

الحجرات: 7

زينة الإيمان

من أين يأتي الإيمان؟

الإيمان خير محض. هو جوهر السعادة وروحها والكمال الحقيقي للإنسان. ولأن الله يريد أن يهدي الإنسان إلى كماله:

| **ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** |. طه: 5

فإنه يفيض عليه بهذا الكمال الذي هو أصل ومنشأ كل كمال آخر. لا ينال الكافر من السعادة والكمال إلا الوهم. وينال المؤمن كل خير وكمال خطر على قلبنا أم لم يخطر على قلب بشر.

الإيمان فيض إلهي يفاض على كل البشر، أينما كانوا ومهما كانوا فالله قريب من كل الموجودات، وهو مع كل ذرات الوجود. لا يوجد مخلوق بعيد عن هذا الفيض، لأنه لا يوجد مخلوق بعيد عن الله. فهو سبحانه الفياض على الدوام:

| **وما كان عطاء ربك محظوراً** |. الإسراء: 20

وإذا كان كذلك، فإن الإيمان الذي هو أهم وأعظم فيوضاته، سيفاض على قلوب جميع مخلوقاته!

ليس هذا فحسب. بل إن الله تعالى يفيض على نحو الإطلاق أيضاً:

| **عطاء غير مجذوذ** |. هود: 108

فهو الذي يرسل نداء الإيمان الكامل على الإطلاق إلى جميع القلوب. إنه صاحب الفيض المطلق. وأينما كان الله فالفيض مطلق غير ناقص. فالإيمان الذي يبثه وينشره بين خلقه هو الإيمان الكامل المطلق الذي لا يشوبه شك ولا شرك ولا ضعف، لأن الله، عز وجل لا يرسل كمالاً محدوداً أو ناقصاً.

إذا كان كل هذا من الله، فلماذا نجد المؤمنين به قلة؟: «**وما آمن معه إلا قليل**» لماذا نعيش الإيمان الناقص المشوب في حياتنا؟ ولماذا لم نؤمن كأننا نرى الله، كأمير المؤمنين الذي قال: لم أعبد رباً لم أره. وهو يقول: لا تراه العيون بملاحظة الأبصار بل تراه القلوب بحقائق الإيمان. أي لماذا لا نؤمن به كما وكأننا في محضره؟

فإذا كان المفيض والمعطي للإيمان هو الله القادر على كل شيء، لماذا لم يؤمن إلا القليل. وهؤلاء القلة معظمهم لم يصلوا إلى الإيمان الكامل؟!

والجواب الواحد عن كل هذه التساؤلات هو أن الإيمان أمر اختياري، وإلا لم يكن كمالاً للإنسان. لو كان الإيمان بالإكراه لما كان إيماناً، بل شيء آخر ليس بقيمته وعظمته. فعظمة الإيمان تكمن في كونه اختيارياً يقدم عليه الإنسان بإرادته ويحتفظ به بإرادته. وبعبارة أخرى: على الإنسان أن يقرر ما إذا كان يريد استقبال الإيمان في قلبه أو طرده منه!

هو الذي يفعل ذلك. وقد ترك الله تعالى هذا الأمر إليه:

| لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي |

البقرة: 256

ولم يترك الله سبحانه للإنسان مثل هذا الاختيار إلا لكونه سر مقامه وكماله الذي لا حد له.

أراد الله عز وجل أن يصل هذا المخلوق المتميز إلى أعلى درجات الكمال الذي لا يخطر على قلب بشر، فأعطاه الاختيار.

وماذا فعل أكثرنا في المقابل؟

لقد أسأنا الاختيار، فبدلاً من استقبال كامل الفيض. قام بعضنا بالإعراض عنه وطرده. فيما قام آخرون باستقبال جزء منه.. قليل من الناس لم يضعوا حدوداً وسدوداً أمامه، ولهذا كمل إيمانهم ووصلوا إلى الكمال المطلوب.

فهل ترك الله أولئك المعرضين والمحدودين؟ لا. لقد حبب إليهم الإيمان وزيّنه في قلوبهم فأراهم جماله وعظمته وبهاءه. فلأن قلوبنا تعشق الجميل وتحب الزينة، لم يُلقِ الرب الودود الإيمان ثقيلاً عليها. بل أراها إياه جميلاً لطيفاً لتتوجه نحوه وتطلبه وتخالطه. وإذا خالط الإيمان القلوب أنست به وطلبت المزيد.

في المقابل يوجد زينة أخرى تدغدغ القلوب. إنها زينة الدنيا. ورغم أنها ليست للإنسان، لأن زينة الإنسان هي الإيمان:

| **إنّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها** |. الكهف: 7

لاحظوا: زينة لها، وليس للإنسان. ومع ذلك يعشقها ويطلبها، وتكون النتيجة خروج الزينة الحقيقية من القلب، وبقاء الزينة

الزائلة الوهمية:

| **كل من عليـها فـان ويبـقى وجـه ربك ذو الجـلال والإكرام** | . الرحمن: 27

ولأنها فانية ولا شيء، فإن القلب المتعلق بها يصبح فارغاً:

| **وافئدتهم هواء** |. ابراهيم: 43

[يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة

إن الله مع الصابرين].

البقرة: 135

الصلاة تزيد الإيمان

الصلاة فعلُ إيمان. عندما يدخل الإيمان إلى القلب يخشع ويُقبل على الله. يبحث عن طريقة ليتوجه بها إلى ربه. يريد من خلالها أن يعبّر له عن إيمانه. فلا يمكنه أن يدفع هذه الأحاسيس الصادقة لأنها جُبلت في أصل خلقته. هكذا هو الإنسان.

ولأن الله يحب عبده ويريد له الخير ويحب أن يسمع مناجاته، فقد شرّع له الصلاة، ففي الصلاة يتمكن المؤمن من بث حبيبه تلك الأحاسيس التي يشعر بها. وفيها ينطلق المؤمن إلى ذلك الفضاء الواسع ليعيش مع معبوده لحظات يسمع فيها ترددات الإيمان الكامن في قلبه. ولولا الصلاة لعانى المؤمن كثيراً وهو لا يتمكن من التعبير بشكل دائم عما في نفسه.

عندما يتفاعل المؤمن مع العالم المحيط به، يشاهد ويسمع

نداءات الرب في كل جوانبه.

كل ما يتصل به، يصدر منه صوت خفي يربطه بأصله. وتكثر النداءات كلما ازداد اتصال المؤمن بما حوله، حتى يراها شيئاً واحداً ويسمع منها صوتاً واحداً. وهناك يجد نفسه قائماً ليستجيب لهذا النداء. فهو يقف للصلاة لتحقيق أعلى درجة من الاتصال بالرب. ليعلن له أنه سمع النداء الخفي وها هو يجيب.

الفارق الجوهري بين المصلي وغيره أن المصلي يسمع النداء ويرد عليه. بينما الغير صمٌ بكم عمي فهم لا يسمعون.

فإذا تحرك المؤمن وتقدم للصلاة يفتح خطاً مباشراً للاتصال بربه وإلهه. ويصبح مستعداً لسماع الصوت والنداء بصورة أفضل وأعلى. وكلما ازداد وضوح الصوت عنده انقطعت الأصوات الأخرى من حوله، حتى يصل إلى مقام لا يسمع فيه إلا صوتاً واحداً. وهذا هو الإيمان الكامل. الصلاة ذكر لله تعالى:

| **وأقم الصلاة لذكري** |. طه: 14

وهي أعظم ذكر له ولهذا جعلها فرضاً وكتاباً موقوتاً.

«والذكر جلاء للقلوب تُبصر به بعد العشوة» كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام. فإذا كانت القلوب متكدرة مظلمة يأتي ذكر

الله تعالى ليزيل عنها هذه العشوة والغشاوة. فهو جلاء وتصفية.

عندما يقف المؤمن للصلاة، أي لذكر الله عز وجل، فإنه يزيل ما علق بقلبه من أدران الشرك والتوجه إلى غير الله. هكذا وصفها رسول الله ﷺ كالحمّام الذي يدخله الإنسان كل يوم خمس مرات، فهل يبقى عليه شيء من الدرن؟!

أخطر أدران القلب هو التوجه إلى غير الله، وأن يكون فيه مع الله سواه. لأن هذا يسمى شركاً. والله يغفر الذنوب جميعاً إلا أن يشرك به. لا يمكن لمن كان في قلبه شريك لله أن يدخل جنته. لا بد أولاً من تطهير القلب وإرجاعه سليماً كما كان عندما فطرنا الله تعالى.

هذا هو الدور الأساسي للصلاة. فعندما يصلي المؤمن يتوجه إلى الله دون سواه وإلا بطلت صلاته. وفي كل جزء من صلاته يعلن عن حصر التوجه والاستعانة والرجوع والقوة والحول به. يعلن فيها عن استعداده للفناء أمام معبوده كما هو حال السجود. وهذا الاستعداد ينافي أي خوف من غير الله. لذلك فإنه يطرد الخوف من غير الله من القلب. وإذا خرج هذا الخوف من القلب لن يجزع الإنسان أمام المصائب ولن يمنع ما في يده، فيتحول إلى

قوة عظيمة مستمدة من الله:

| إن الإنسان خُلق هلوعاً ◆ إذا مسه الشر جزوعاً ◆
وإذا مسه الخير منوعاً ◆ إلا المصلين |. المعارج: 19

لهذا كانت الصلاة سبباً لزيادة الإيمان.

| إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون|

الأنفال: 2

آيات القرآن

حيث أن الإيمان هو توجه نحو الله تعالى، فإذا ازداد الإيمان قويَ التوجه. والله سبحانه قد جعل كل هذا العالم بجميع مراتبه دالاً عليه:

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

ولكن هذا العالم قد يتحول بنظر الإنسان إلى شيء صامت لا يرى أبعد منه. فيحتاج عندها إلى من يعيد رسم الصورة الواقعية أمامه. يحتاج إلى من يبعث فيه روح التفكر والتأمل فيما حوله. وهنا يأتي دور الكتاب:

[وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون].

ودور الرسول الحامل له: «يتلو عليهم آياته ويزكيهم...».

تأتي آيات الكتاب الإلهي لتثير في أعماقه الأسئلة الجوهرية، وتحثه على التفكر فيها وتقدم له الأجوبة التي تحاكي فطرته. فكأنها ارتداد لها:

| .. فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.. |. الروم: 30

وعندما تتحرك عجلة التفكر في الكائن الإنساني تسير مركبته في الاتجاه الصحيح، في المسير الذي لن يتوقف حتى يجد الأجوبة الشافية عن أسئلته الكثيرة التي نبعت من تلاوة الآيات عليه. والواقع أن ما سيحصل عليه في المحطات العديدة أمر مدهش مذهل. فإن كل جواب يحاكي الآخر والكل يحكي عن حقيقة واحدة. فيدرك أن وراء هذه الكثرات اللامتاهية حق واحد صرف بسيط لا تعقيد فيه ولا تركب. وهناك تتجلى العظمة اللامتناهية لصاحب الآيات. وعندها يندك الجبل القاسي الجاف المتعجرف للإنسان:

| لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً

متصدعاً من خشية الله..]. الحشر: 21

هناك تُستبدل الأرض الإنسانية القاحلة بأرض طريّة خصبة، تنبت أشجاراً طيبة.

هذه الأرض الإنسانية الخصبة قابلة للزراعة والعطاء دوماً. فكلما تليت عليها آيات الله تحركت فيها عجلة التفكر والتأمل لتزيد الإنسان إيماناً، لأن عظمة الله لا حد لها. وكلما غاص المؤمن وتوغل في أرجائها ازداد اندهاشاً.

عجيبة هذه الآية المباركة في دلالتها. إنها تفتح لنا الطريق السهل الميسر نحو الإيمان العميق. تطلب منّا أن نستمع إلى آيات القرآن المجيد لتكون النتيجة الحتمية ازدياد الإيمان!

| إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم|

البقرة: 218

الهجرة والجهاد

لطالما ذكر الله الإيمان واتبعه بذكر الهجرة والجهاد. وإذا كان الله تعالى يقول:

| والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض |

التوبة: 71

فإنه سبحانه نفى الولاية عن الذين لم يهاجروا بعد إيمانهم:

| والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء |. الأنفال: 72

مما يدل على أن للهجرة موقعية أساسية في الإيمان.

ما هي الهجرة؟ وما هي علاقتها بالإيمان؟

أول درجات الهجرة في الإسلام هي أن يترك المؤمن بلاد الكفر التي لا يقدر فيها على عبادة الله كما يريد الله تعالى. لا

يحق له أن يبقى في بلد يجبره على مخالفة أحكام الله أو بعض أوامره. ولهذا نجد القرآن الكريم يحكي عن الحوار الذي جرى مع الذين أجبروا على معصية الله:

| قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها |. النساء: 97

والخطر يكمن في أن الأمر يبدأ أولاً بالإجبار لينتهي إلى الرضا بأعمال الكفار وهو الكفر. فصحيح أن الكفر لا يحصل بالإكراه. ولا يمكن لأية قوة في العالم أن تجبر إنساناً واحداً على الكفر. ولكن المخالفة المستمرة لأوامر الله والانخراط الدائم في سلك الكفار يؤدي إلى الرضا بهم وبأفعالهم. لهذا نجد أصحاب الكهف بعد أن خرجوا منه يقولون:

| إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً |. الكهف: 20

ولأن أصحاب الأخدود المقتولين فيه حرقاً لم يجدوا مجالاً للهجرة، اختاروا هذا المصير ليحفظوا إيمانهم. ولأن هذه الميتة أهون بدرجات من العذاب الأليم في جهنم. بل لا ألم فيها ولا عذاب إذا قورنت بعذاب الآخرة.

فالهجرة من أجواء الكفر والمعاصي لاجتناب المعاصي، ولأن المعاصي تجر الإنسان إلى الكفر. لهذا كانت الهجرة لأجل الحفاظ على الإيمان.

ويأتي الجهاد مكملاً. فهو إعلان الرفض للكفر وبرامجه وأسلوبه في الحياة. وهو السعي لتحطيم السدود التي يقيمها الكفر لمنع وصول نداء الحق إلى الأسماع.

فالمؤمن يخضع لله في كل وجوده. ويحب أن يرى كل من لديه الاستعداد للإيمان خاضعاً. إن حبه الشديد لمخلوقات الله الذي ينبع من حبه لله يحثه على إيصال الإيمان إلى الآخرين ممن لديهم الاستعداد للاستماع.

صحيح أن من كفر فعليه كفره. ولكن لماذا يريد هذا الكافر أن يجعل من الآخرين كفاراً؟! وكيف يحق له أن يضع لهم برامج الضلالة التي تشوّه الحقيقة أمامهم:

| وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها.. |. النساء: 75

| **إنما المؤمنون إخوة** | الحجرات: 10

الإيمان والأخوّة

من أبرز مظاهر الإيمان الأخوّة.

الأخوّة التي نتعرف على جانب منها عندما يكون للواحد منا أخ ولدته أمه. نشعر معها بأحاسيس العطف والاهتمام والإيثار والسلام والانتماء. هذا المفهوم الذي تعرفنا عليه في حياتنا العائلية يأتي الإسلام ليعطيه بعداً أكبر وأعظم حينما يصنع الأخوّة على أساس انتماء أرقى وأعلى. انتماء لا ينفصم ولا ينقطع حتى بعد الموت حينما: «**لا انساب بينهم**» بل: «**إخواناً على سرر متقابلين**». إنه انتماء الإيمان ومنه تُشتق الأخوّة الإيمانية.

لقد بيّن الدين الإسلامي معنى هذه الأخوّة وحدودها من خلال ذكر العديد من الحقوق التي ينبغي مراعاتها. فلا إخوّه ما لم تراعَ هذه الحقوق. فللمؤمن على أخيه حقوق كثيرة سيسأل

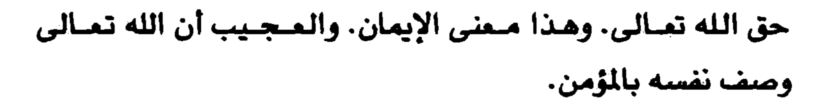
عنها يوم القيامة، ويكون دخول الجنة مشروطاً بأدائها. حبّذا لو نطلع على هذه الحقوق في الأحاديث والروايات المنقولة عن أئمة الدين.

هناك سنجد شيئاً عجيباً. ففي رواية نقرأها قيل بأن حق المؤمن لا يُدرك. ماذا تعني هذه الجملة الشريفة؟

يعني ذلك أن الإنسان مهما فعل ليؤدي حق أخيه المؤمن فلن يصل إلى المطلوب ولو أعطاه الدنيا وما فيها. والذي يزيد الأمر صعوبة أن هذا الحق قد حدده الله تعالى. وهو السائل عنه يوم القيامة!

هل يعني ذلك أنه لا يمكن الوصول إلى الإيمان الحقيقي؟ فإذا كان الإيمان يستلزم أداء حق المؤمن، وكان هذا الحق مما لا يُدرك، ألا يعني هذا استحالة تحقق الإيمان الواقعي في القلب؟!

إن هنا معنى آخر وهو أن المؤمن مهما فعل مع أخيه يبقى مقصراً تجاهه. وهذا التقصير الذي لا يُجبَر، يؤدي إلى الشعور بالعجز الكبير، وهذا هو المطلوب. فالمطلوب إذاً أن يعترف المؤمن مع كل خير يؤديه إلى أخيه بأنه مقصر. وذلك لأن حق المؤمن من



حق الله تعـالى. وهـذا مـعنى الإيمان. والعـجـيب أن الله تعـالى وصف نفسه بالمؤمن.

| الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا
إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة وأولئك هم المهتدون |

البقرة: 156 - 157

مواجهة المصائب

تمر علينا الحياة هادئة وادعة، نتمنى لو أنها تستمر هكذا طول العمر. ثم نسمع بالمصائب من حولنا وتقترب من دارنا، نريد أن نهرب منها ولا نسمع عنها شيئاً. ثم فجأة قد تنزل بنا وتحل في ديارنا ثقيلة باهظة مؤلمة أكثر مما سمعنا عنها.

تضيق الدنيا ويتنكد العيش. ونشعر كأننا نتجرّع مرارات لا انتهاء لنا. ونشعر وكأن كل حلاوة مرّت علينا قد تحولت إلى مرارة. فهل يمكن أن نغير القضاء؟ هل يمكن أن يرجع كل شيء كما كان؟!

لا، لقد خسرنا العزيز وفقدنا الثمين والآن نعيش الغصّة. ماذا نفعل؟! هل نهرب أو نلجأ إلى ما ينسينا المصيبة. إذا لم نفعل

ذلك سنموت من الألم والعذاب النفسي والمرارة. فالمصيبة أكبر من طاقتنا.

أجل سأهرب، يقول بعضنا، وأسلي نفسي بأي شيء لكي أنسى. ولكن ها هي المصيبة تعود بذكراها ثقيلة جداً. لا أستطيع مقاومتها مهما فعلت.

لماذا يا رب حدث هذا الأمر؟ ماذا فعلت؟ ما ذنبي؟ لماذا ينبغي أن أعيش هكذا؟ ولماذا غيري يتنعم ولم يُصَب؟

أشعر أنني سأنهار عما قريب، وسوف أفقد توازني ومتانة أعصابي.. سوف أكفر، لم أعد أطيق..

هذه الصورة التي تتكرر كثيراً عندما تنزل المصيبة على الناس. فقط المؤمنون يدركون السرّ ويعتقدون به ويعملون ويتصرفون على أساسه.

إنهم المؤمنون الذين يعلمون جيداً بأن كل ما في هذا الوجود هو لله تعالى فهو المالك الأوحد. ونحن لا نملك شيئاً. لقد تفضل علينا إذ أعطانا ليختبرنا. وها هو الآن يسترجع الوديعة فهي ملكه. أما نحن. فنحن الهالكون من الأزل وإلى الأبد. نحن لا

شيء أمامه. نحن كما قال علي ﷺ: في قولنا «إنا لله» إقرار على أنفسنا بالملك و «إنا إليه راجعون» إقرار على أنفسنا بالهلك.

هذا هو الإيمان ولازمه أن يقول الإنسان مؤمناً حينما تنزل بساحته المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون.

لك يا ربِ كل شيء فأنت تفعل به ما تشاء. وأنا مؤمن بأنك يا رب لا تفعل ذلك ظلماً أو عبثاً، لأنك الرب الرحيم الودود اللطيف.

وتكون النتيجة من جانب الله تعالى خيرات أكبر وأعظم ونِعَمٌ أرقى وأعلى. وإذ بالخسارة الكبرى تتحوّل إلى فوز عظيم:

صلوات من الرب

ورحمة

وهداية

ويوم القيامة، الذي هو يوم رجوع الكل لا خسران. فكل شيء في جنبه حقير. هناك عند اللقاء لا خسارة ولا مصاب.